أعلام وأعيان تلاميذ الهلالي من خلال لقاءات معهم في أماكن متعددة

(5)

مجيزنا فضيلة الشيخ العلامة وصي الله عباس

المدرِّس في الحرم المكي، حفظه الله ورعاه

هذه فوائد متنوِّعة من لقاءين في بيته في مكة المكرمة، وكان آخرهما في 1 رجب 1437هـ الموافق 8/ 4/ 2016م.

وكان الشيخ وصي الله قد زارنا للأردن في شوال سنة 1427هـ، وزارني في بيتي بعد فجر يوم الجمعة منه، وكان ذلك في زيارته إلىٰ الأردن للعلاج، عافاه الله وشفاه، وأمتع به، ومدَّ في عمره، وأتحفنا بفوائد، ومنها الكثير عن الهلالي، ووجدت غير واحد منها في كتب الهلالي نفسه، واقتصرتُ هنا علىٰ ذِكر الجديد الذي عنده، ولاسيَّما في مرافقته الشيخ الهلالي في رحلته إلىٰ مصر، وملازمته إياه في بيته في المدينة النبوية، ودراسته عليه في الجامعة الإسلامية بها.

وزودني –حفظه الله– ببعض الأشعار التي ارتجلها الهلالي، وكان معه في السيارة، وأملاها عليهم، وكان الشيخ وصي الله يكتبها بيتًا بيتًا، وما يخص هذه القصائد أثبتُّه في (المستدرك) علىٰ «ديوان الهلالي»[1].

أفاد الهلالي أن الأوروبيين لما جمعوا «المعجم المفهرس»؛ وزَّعوه علىٰ عدد من الباحثين، في عدد من المدن، وكان –رحمه الله– يقول: «عند طلبة العلم أعمال فردية كثيرة، لو اجتمعت لحصل منها علم كثير، وإنتاج غزير».

وأفاد الشيخ وصي أن الشيخ الهلالي كان يراسل «الوعي الإسلامي» في الكويت و«دعوة الحق» في المغرب، ويرسل لهم بخط يده بعض المقالات.

1() انظر منه (ص 6، 7، 721).

وأفاد أنه رافق الشيخ وهو شابٌّ قبل زواجه سنة 1392هـــ إلىٰ الريرمون في مصر، وأن ولدًا لإســـماعيل الصــيفي[1] كان اســـمه محمد، وكان الهلالي يســعىٰ له للالتحاق بالجامعة الإســـلامية، وكان عمره آنذاك نحو ثلاث وعشـــرين ســـنة، وأنهم كانوا يتنقلون داخل مصر في القطار، ثم في السيارة، وأن الشيخ مر بدعلوي، ومنه إلىٰ جهة النيل الريرمون بعد كيلو مترًا تقريبًا.

وكانت رحلتهم إلىٰ الريرمون بركوبهم عربة ذات حصانين، وصحبهم طالب علم اسمه (حبي خميس) من أنصار السنة، وكان طالبًا في كلية الطب، واشترىٰ الشيخ (حلوىٰ) لمن هو ذاهب إليهم، ولما مروا ببقالة علم صـــاحبها أن الشـــيخ جاء من المدينة النبوية؛ ففرح بذلك، وقفز -وكان خجولًا- فقال له: (بالنبي! تنزل عندنا اليوم)، فقال الشـــيخ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، وصـاح صـيحة مغربية في الإنكار عليه، وأخذ منه موعدًا عند الرجوع، وزاره الشيخ، وكانت ليلة طيبة.

وأفاد أنه لازم الشـيخ وأدار بيته قرابة ثلاث سـنين في المدينة النبوية، وكان ذلك في سنة 1389 و1390 و 1391هـ قبل أن ينتقل إلىٰ مكة المكرمة في سنة 1393هـ، وأفاد أنه كان كاتبًا له في هذه الســـنوات، وأن اســـتفادته منه كانت في اللغة، وأنه لما كان يلحن في القراءة؛ كان يقول له الشـيخ: (والله! إنك آذيتني)، يقول شـيخنا الشـيخ وصـي: فما نسـيت هذه!

وأفاد أن رحلة الشــيخ في مصــر اســتمرت ثمانية أشــهر، وأنه أول من ذهب إليه في مصر هو العلامة موسىٰ خليل[2]، وكان مُسنًّا، وعمره تسعون عامًا، وهو أول من طبع كتب

1() انظر عنه «الدعوة إلىٰ الله» (107 – 112) و«رسائل الهلالي» (1/ 22، 395)، وجهدتُ أن أقف علىٰ مكاتبات الهلالي لإسماعيل بن صيفي، وبعد طبع كتابي «رسائل الهلالي» استطعت في 18/ جمادىٰ الآخر/ سنة 1438هـ إلىٰ التوصل إلىٰ ولد حفيد إسماعيل هذا، واسمه (مدني أحمد محمد) وأخبرني أن الرسائل موجودة عند جماعة من أقاربه، وسيزودني بها!

2() نعته الهلالي في بعض «رسائله» (2/ 749) أنه صاحب مكتبة أنصار السنة المحمدية، وأنه التقاه بجدة في بيت الأستاذ الشيخ محمد نصيف، وأنه كانت بينهم مراسلات.

شيخ الإسلام ابن تيمية، وأنه أفطر عنده في بيته في رمضان، وأنه نزل في فندق (قاند هوتيل) الذي علىٰ شارع فؤاد، وكانت أغلب صلوات الهلالي هناك في مسجد أنصار السنة، ولاسيَّما صلاة الجمعة، وكان ينكر علىٰ الخطباء طول الخطبة، وكان يناصحهم بضرورة تقصير الخطبة، وأن ذلك من السُّنة، ومن علامة فقه الخطيب.

وأنه التقىٰ بالعلامة الأديب محمود شاكر، ودعاه علىٰ طعام في مكتبته، وكان اللقاء طويلًا، وفيه انشراح وانبساط، وتحدثا بسوالف الأمور الماضية.

واسترسل الشيخ وصي الله بتأثر الهلالي بالأوضاع التي كانت حاضرة في وقته، وكان كثير المحاربة للذين يغزون بلاد المسلمين، وهذه الأشياء أخذت منه وقتًا كثيرًا، ولو بقي في العلم لكان له شأن آخر.

وأنه التقىٰ فيها –أيضًا– بمحمد رشيد رضا، وهو الذي وجَّهه إلىٰ الشيخ محمد نصيف، وهو الذي رتَّب له السفر إلىٰ الهند، وحمل من رشيد رضا خطابًا خطيًّا لنصيف بهذا الشأن، وكان الهلالي يذكر محمد رشيد رضا بخير ويثني عليه.

وأفاد أنه لازم مشايخ كثيرين، وأن الهلالي يمتاز من بينهم بغيرته الشديدة علىٰ الكتاب والسنة والمنهج السلفي.

وذكر رحلته إلىٰ الهند، وقصته مع الشيخ عبدالرحمن النكرامي، وذكرها في كتابه «الدعوة إلىٰ الله» (ص 373 – 380)، وقال:

«وهجوته بقصيدة؛ لا أُريد أن أذكر منها هنا شيئًا».

قلت: لم أظفر بها، وأفادنا الشيخ وصي ببيتين منها، حفظهما من الشيخ الهلالي؛ وهما:

لا لحىٰ الله شيخًا واقفًا قابضًا علىٰ ... مذاكيره في درسه فعل نسناسي

فإن كان مجنونًا فإنَّ جنونه ... عضالٌ عقامٌ ماله أوف من آسي

قاله لأنه كان يدرِّس في بعض الأحايين وفي يده منديل؛ ويكثر من مســح مذاكيره، لأن عنده سلس بول.

ثم قال الشيخ: هذا احذفه؛ لأن صاحبه من أهل الحديث.

قال بعد أن هدأ: الآن أُحبُّه، وخرج ما كان في قلبي عليه.

وأفاد أن الهلالي اجتمع مع الألباني في المدينة النبوية، وكان إذا ســمع أحدًا يتكلم عليه يغضب، ويقول: (ما يحقدون عليه وينقمون إلا أنه رجل خدم السنة، وسلفي العقيدة والعمل)، وكان يحترمه جدًّا، وكان الألباني منعزلًا في البحث، حريصًا علىٰ وقته.

وأفاد أن كتاب «مدنيَّة العرب في الأندلس» للهلالي مطبوع مرتين[1]، وأن له مقالات كثيرة في مجلة «الضياء» اللكنوية، وكذا في «لسان الدين».

وأفاد أن الشـيخ عمر بن حســن[2] كان مُحبًّا جدًّا للشـيخ الهلالي، وأنه التقىٰ به في الطائف، ومكث عنده ثلاثة أيام، وأكرمه إكرامًا شـديدًا، ودعىٰ الأعيان، وكان بعضـهم من الأمراء، وكان من بينهم إمام الحرم المكي فضيلة الشيخ عبدالله خياط[3]، ومن قدماء تلاميذ الهلالي الســعوديين، وطلب اللقاء به، فأخبره الشــيخ عن الفندق الذي نزل فيه، فأرســل الخياط له سيارة، ودعاه إلىٰ بيته للفطور، وكانت هذه المرة الأولىٰ والأخيرة للشيخ وصي الله عباس في لقياه للشيخ عبدالله خياط، وتجاذب الهلالي الكلام مع إمام الحرم، وتذاكروا أشياء قديمة، وكان الخياط يحترم شيخه الهلالي جدًّا، وكان يَظهر في المجلس كأنه طالب مع الشيخ، فكان شديد الأدب معه، يحمل علىٰ نفسه، مع شكواه المرض آنذاك.

وأفاد الشيخ وصي –حفظه الله– أن أبرز تلاميذ الهلالي من الهند أربعة؛ هم:

1() نعم، طبع في العراق بعنوان «مدنية العرب في الأندلس» وعلىٰ طرته من الداخل «الهلال والصليب مدلول العصور المظلمة أو القرون الوسطىٰ» وفيه زوائد ليست في الطبعة الثانية، وهي المغربية نشرت في الرباط بعنوان «مدنية المسلمين في إسبانيا» وهو من ترجمة الهلالي، وتأليف جوزيف ماك كيب، انظر عنهما وتعريفًا بالكتاب في مقدمة نشرتنا له.

2() هو من آل الشيخ، وكان رئيس جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمدينة الرياض.

3() هو من تلاميذ الهلالي، وله ترجمة له في كتابه «لمحات من الماضي»، تقدم ما فيها.

1- الشيخ أبو الحسن النَّدوي.

2- أبو الليث، كان اسمه شير محمد، و(شير) بمعنىٰ: ليث؛ وهو الأسد، فسمَّاه الشيخ الهلالي: ليث محمد، وكنَّاه: أبا الليث –أيضًا-.

3- مسعود بن عالم النَّدوي، ودرس علىٰ الشيخ في الهند، ولازمه سنتين[1] في العراق، ودرس في السعودية، وهو خليفة المودودي في الهند، ومات صغيرًا دون الأربعين.

4- عاصم الحداد، وكان أصغرهم، لكنه كان مع الشيخ أبي الأعلىٰ المودودي، وكان أحسن الناس ترجمة لكتب المودودي.

وكان الهلالي يقول: «لو عاش مسعود ما كان الناس يعرفون أبا الحسن النَّدوي»؛ لأنه كان نشيطًا وعالمًا ونبيهًا، وكان مؤثرًا في الناس، إلا أنه مات صغيرًا، رحمه الله –تعالىٰ-.

وكان الشيخ الهلالي دائمًا غضبان علىٰ أبي الحسن النَّدوي بسبب تصوُّفه، ولأن الهلالي أول من أشار إلىٰ نشر (الرد علىٰ أبي حنيفة) من «مصنف ابن أبي شيبة»، ولما رآه أبو الحسن الندوي علىٰ سرير الهلالي؛ أخذه من غير علم الشيخ، وأوصله إلىٰ أخيه عبدالعلي، فجاء عبدالعلي إلىٰ الشيخ؛ وقال: (أنا لا أرغب أن يكون مثل هذا الكتاب عندكم)، فتكلم معه الهلالي بشدَّة، وأنكر عليه تعصبه وأهل بلده للإمام أبي حنيفة –رحمه الله-، وأخبره أنه يريد التحقق والتثبت من المسائل المنسوبة لأبي حنيفة.

وفقد الهلالي دفترًا، كان جمع فيه فوائد خاصة تتعلق بالتعصب للمذهب الحنفي، وذكر فيه فضائل أهل الحديث؛ ففقده، وكان الشيخ يعلِّق فقده بأبي الحسن الندوي، ولذا كان لا يحبه.

وكان الهلالي يرىٰ انفصال (الباكستان) عن (الهند)، بخلاف جماعة من العلماء والزعماء والساسة، وعللوا ذلك بأنَّ هذا مطلب لأعداء المسلمين في الهند؛ كالزعيم غاندي، وكان الزعيم أبو كلام آزاد –وكان عبقريًّا، لكن أكلته السياسة- علىٰ هذا الرأي،

1() بل ثلاثة أشهر.

بخلاف الهلالي[1]، وجماعة معه؛ مثل: الزعيم محمد رحمة علي، وشكيب أرسلان، واستطاع الهنود بعد ذلك إبعاد المسلمين من شؤون الهند الداخلية؛ لأنهم أخذوا دولة، وبدؤوا يعملون علىٰ تقسيم الباكستان بطريقتهم، فيفصلون جزءًا بعيدًا عن الآخر، فظهرت باكستان الشرقية والغربية، وبينهما طريق بري بعرض خمسة كيلومترات إلىٰ بنغلادش، وإذا أغلقت الهند هذا الطريق؛ فلم يبق لها طريق إلا من البحر!

وكان محمد علي جناح رجلًا فاسقًا، ولو أعطي الحكم علىٰ كراتشي فقط لقَبِل، وكان أبو كلام آزاد يعاركه بشدة علىٰ هذا.

ولما كان المسلمون في الهند يطالبون بحقوقهم؛ فيقول المسؤولون لهم: (اذهبوا إلىٰ الباكستان، فقد أخذتم دولتكم)، وكان الجيش من الهندوس، فلما تصبح مشاغبات؛ يتدخل الجيش لقتل المسلمين، وقامت مجازر آنذاك، وكان وزير الداخلية يقول: المسلمون يذوقون ما عملته أيديهم[2]!

وأفاد أن أبا كلام آزاد كان يصدر مجلة «الهلال»، وانتقلت إلىٰ الجامعة الملية، التي أسسها ذاكر حسين، ثم إلىٰ مكتبة السيد المحدِّث نذير حسين.

وأفاد أن مكتبة الهلالي في الهند آلت إلىٰ مكتبة ندوة العلماء[3].

وأفاد أن الشيخ عبدالحميد الرحماني من تلاميذ الهلالي، وممن سافر معه من المدينة إلىٰ المغرب، وأقام عنده، وهو خرِّيج الجامعة السلفية، ولما تخرَّج عمل مع

1() ذكر هذا بعض «مقالاته»، انظر: «قضية باكستان علىٰ بساط البحث؛ رأيي فيها».

نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الثاني عشر، عدد (572)، بتأريخ 16 شعبان 1356 هـ، (ص 6 – 8).

2() انظر كتاب إحسان حقي «باكستان، ماضيها وحاضرها» ولمحمد العربي –شقيق تقي الدين الهلالي– كتاب منشور مهم عن «الباكستان».

3() سيأتي كلمة مهمة عن مآل مكتبة الهلالي.

جماعة أهل الحديث، وكان علىٰ خلاف مع بعض العلماء؛ كالشيخ مختار أحمد الندوي[1] –وهو من تلاميذ الهلالي–، ولما انفصل عنهمفي دهلي؛ أسس مركز أبو الكلام آزاد للتوعية الإسلامية[2]، وجعل له أقسامًا تتبعه: قسم الدعوة، وقسم التدريس، وهكذا، وكان عبقريًّا في هذه الترتيبات، وساعده الشيخ وصي لما جاء إلىٰ المملكة، ومشىٰ معه إلىٰ العلامة ابن باز وغيره، وأغدقوا عليه الأموال، وكان قد زار الهلالي في المدينة، قبل سنة 1390هـ.

وأفاد أن الهلالي كان يجيب علىٰ بعض الأسئلة بأبيات من الشعر، وأثبت بعض ذلك في «ديوانه».

وأفاد أن أم فاطمة التي تزوجها في ألمانيا؛ أصلها مغربي، وكانت أحبَّ زوجاته إليه، وكان يقول عنها: هي ملكتني[3]!

وأفاد أن ابنته الأستاذة خولة الهلالي المقيمة الآن في بغداد؛ توسط الشيخ لها عند الأستاذ راشد بن حنين، وكان رئيسًا آنذاك لتعليم البنات، وجاءت إلىٰ السعودية، فدرست سنة واحدة ثم سافرت، ورجعت إلىٰ العراق.

وأفاد أن الشيخ الهلالي كان يشتري الضروري من الكتب وهو في المدينة، وأنه قرأ علىٰ الهلالي الإنجيل (الكتاب المقدس)، وأن نسخة الهلالي منه آلت إليه، وأن الشيخ كان يعلِّق علىٰ يمين الصفحة، ولما كان يمر به ما يفهم منه ذكر النبي –صلىٰ الله عليه وسلم–؛ كان يخبرني بذلك.

1() ظفرت ببعض مراسلات الهلالي له، ولكن لا وجود لها في كتابي «رسائل الهلالي» الشخصية، لأني ظفرتُ بها بعد نشر الكتاب.

2() ممن تشرفت بلقائه، وله لقاء مطول مع شيخنا الألباني، وهو عندي مفرغ، يسَّر الله –عز وجل– نشره مع مجموعة من لقاءات الكبار معه.

3() انظر عنها كتابي «رسائل الهلالي» (1/ 229 – 230).

وهذه مصـــوَّرات نســـخة الإنجيل التي كانت بحوزة الهلالي، وهي مطبوعة ســـنة 1931م بنفقة جمعية التوراة الأمريكانية، وقد ترجم إلىٰ اللغات الأصلية، وعليها إشارات بعضها بخطه[1] وبعضها بخط الشيخ وصي الله بأمر من الشيخ، وفيها ما يشير إلىٰ نصوص تدل علىٰ أن عيسىٰ -عليه السلام- ليس له حظ من الربوبية، ووضعها في كتابه «البراهين الإنجيلية».

وأفاد أن أعضاء رابطة العالم الإسلامي، قسم الإعجاز العلمي، استعاروا منه هذه النسخة من الإنجيل.

وأفاد أن شـيخه الهلالي نشـر بعض المقالات في مجلتي «الهدي النبوي» و«التوحيد» اللتين صدرتا عن جمعية أنصار السنة المحمدية.

وأفاد أن الهلالي كان يحفظ القرآن الكريم، وبعض كتب أهل العلم: مثل: «بلوغ المرام».

هذه فوائد نفيسة ملتقطة من مجلس شيخنا وصي الله عباس، فجزاه الله خيرًا علىٰ ما أفاد وأجاد.

1() ترىٰ نماذج منه في (الوثائق) في آخر الكتاب.